

الإسلام والحريات الشخصية

الشيخ إبراهيم رمضان*

بيروت - الحرية للإبداع مثل الروح للجسم. يؤكد القرآن الكريم على الحرية الشخصية ويبرز علاقتها بقراءة الفردية. تُركت حتى القضية المركزية في الدين، ألا وهي الإيمان بالله تعالى، لخيار الإنسان: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٢٩:١٨).
لذا فإن السلوك الإنساني في الإسلام عائد لحرية الإنسان ورشده، وبالتالي فإن الخلاف بين الناس لا يمكن تجنبه بشكل جوهري، وهو متوقع دون شك: ﴿ولو شاء ربك ل جعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (١١: ١١٨ - ١١٩).

أولاً: تُفرض هذه المسؤولية من خلال المسؤولية الجزائية التي تتحملها السلطة التي تتعامل مع الشأن العام، بما في ذلك مهمة إرساء قواعد النظام. يسمح التنازل عن المسؤولية إلى سلطة أعلى، بشكل أساسي، بمنع محتمل للنزاع، أو حله إذا تفسى. وبما أن هذه المسؤولية التأديبية تهدف إلى منع الخطايا فهي تتفق مع الحديث الشريف «لا ضرر ولا ضرار»، ومع الآية الكريمة: «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (٢: ١٩٠).

ثانياً: يحمّلنا الإسلام مسؤولية أخلاقية دائمة تتعلق مباشرة بعلاقتنا مع الله تعالى، الذي يسأل الإنسان على أعماله يوم القيامة. ويذكر تحمّل وزر

ولا يقيد الإسلام حرية الإنسان بأية طريقة وإنما يحمّل بني البشر المسؤولية، فردياً وجماعياً، عن نتائج قراراتهم. يتوجب على المرء أن يفكر بأعماله ونتائجها. وقد تبدو احتمالات أن يضطر المرء أن يتعامل مع نتائج معينة على أنها تحدّد حرّيته الفردية، إلا أن ذلك يوفر فائدة عميقة للمجتمع الذي يعزز بشكل دائم القول المشهور: «تنتهي حرية الفرد عندما تبدأ حرية الآخرين». لولا هذا القيد لكانت الحرية لعنة من الفوضى ولأصبحت الحرية الفردية إزعاجاً للآخرين وتعدّياً على مصالحهم وخياراتهم. ولكن كيف تُطبّق مسؤولية الإسلام عن خياره في إطار الدين الإسلامي الحنيف؟